العرب
الجمعة 2020/04/10
السنة 42 العدد 11673

نظرية المؤامرة بين احتفاء الإنترنت ودحض الفلاسفة

المؤمنون بالتآمر ونظرياته يستغلون ذكاءهم لابتداع الأدلة والترويج لها عبر الشبكة العنكبوتية

"لا شيء يحدث صدفة، كل شيء دُبّر بليل"، كلام يطلقه القائلون بنظرية المؤامرة، التي تنتعش إثر كل حدث لافت، لاسيما إذا صار محطّ أنظار العالم. والغريب أن أول المؤمنين بها هم المتعلمون، يستغلون ذكاءهم لابتداع أدلة تبدو في ظاهرها مقنعة، ويتوسلون بالإنترنت لنشرها على أوسع نطاق.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

منذ الأيام الأولى لكارثة يوهان الصينية، خرج علينا معتنقو نظرية المؤامرة ليمطرونا بوابل من الأخبار والتعاليق والفيديوهات والوثائق التي تؤكد زعمهم بأن الأمر دُبّر بليل، مرة من طرف الصين التي نشرت هذا الوباء لتدمّر اقتصاد الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي، وتستولي بمفردها على السوق العالمية، ومرة من قبل الأميركان، ووكالة الاستخبارات "سي آي إي" تحديدا، فهي التي أشرفت على صنع هذا الفايروس في رأيهم، ثم نشره في بعض المدن الصينية في نطاق حربها على منافسيها من القوى العظمى.

وذهبت طائفة أخرى إلى القول إنها خطة يشترك فيها كبار هذا العالم للتخلص من جانب من البشرية والاستئثار بثرواته، خصوصا تلك الشعوب التي تتكاثر دون إنتاج، وتبحث عن خلاصها في الهجرة.

وحتى عندما انتشر الفايروس بشكل لم يميّز غنيًا من فقير ولا مؤمنا من ملحد، ظل أصحاب تلك النظرية متمسكين بآرائهم، وطلعوا علينا بوثائق تزعم أن الفايروس صنع بمعهد باستور بباريس، بالتعاون مع الصينيين، وبعلم من دول الاتحاد الأوروبي، للسيطرة على سوق لقاحات الأوبئة الجديدة. وما زالوا يبتدعون "حقائق" لا تجد صداها إلا لدى من يصدّقون بأنّ شيء يجري في الظاهر كما يجري في الباطن، وبأنّ وراء كل ما يطرأ من أحداث قوى مجهولة تدبّره وتديره في الخفاء، كالزعم بأن كورونا كذبة فما هي في اعتقادهم سوى غاز السارين بثه الأميركان في أوساط الصينيين.

المؤامرة والفلاسفة

شغلت مسألة المؤامرة والتشكيك العديد من المفكرين، بعضهم عدّها نوعًا من حشد أنصار لغاية مبيّتة، فيما اتخذها آخرون وسيلة معرفية لبلوغ اليقين، فديكارت مثلا، يطرح في كتابه "تأملات ميتافيزيقية" فرضية يضع فيها كل ما مضى موضع ريبة، متسائلا ما إذا كان في السماء بدل الرب الحق، مصدر الحقيقة، كائنٌ شرير استعمل كل ألاعيبه لتضليلنا. وهو قول يجعل من ديكارت أول منظّر للمؤامرة عبر التاريخ، فالمظنون فيه هنا هو الرّبّ، ولكن ديكارت يستعمل الشكّ أداة فكرية، فيشك في المعتقدات الأكثر رسوخا حتى يبلغ اليقين.

> انتشار الأنترنت أكسب حضورا لافتا للبدع التآمرية التي كانت فيما مضى تتنقل خلسة كالبضائع المهربة

كذلك غاستون باشلار، فهو يرى في نظرية المؤامرة شرًا لا بدّ منه، لأن الطريق إلى المعرفة الموضوعية مفروشة بالآراء المسبقة وتهافت الاستدلالات والتفاسير المزيّفة. فأن تعرف معناه هو أن تتخطى تلك الحواجز الإبستيمولوجية التي يستسلم لها الفكر بشكل يكاد يكون آليًا. فالمؤامرة في اعتقاده هي مثال جيّد لما يسمّيه "الحاجز تحت الوجودي" الذي يدفع صاحبه دائما إلى أن يعزو ما يلاحظه إلى سبب وحيد وخافٍ. فإذا كان الأفيون ينوّم، فبسبب طاقته التنويمية. كذلك المجتمع، إذا كانت له مشاكل، فمردّها إلى مجموعة مهيمنة تعمل في الظل.

أما فيلسوف العلوم كارل بوبر فقد أكّد في حديثه عن نظرية المؤامرة أنه يكفي أن يفسّر أحدهم ظاهرة اجتماعية كي نكتشف من لهم مصلحة في إنتاجها. فهي في شكلها الحديث عبارة عن علمانية المعتقدات الدينية. وفي رأيه أن آلهة الإغريق، التي يفسّر بها هوميروس حرب طروادة، تمّ تعويضها بالمحتكرين والرأسماليين والإمبرياليّين. ففي مرحلة تعاظم فيها دور العلم، اتخذت المؤامرة وجهَ تطيّرنا الجديد. غير أن نيتشه يعتقد أن النظرية ليست سوى تعبير عن تأويل للعالم، فلا وجود لحقيقة بالمعنى التقليدي للكلمة بل ثمّة تزاحمُ وجهات نظر متنافسة، تعكس كلٌ منها قناعات مَن يدافع عنها وحاجاته وقيمَه. فأن تفسّر معناه أنك تمارس نوعًا من "إرادة القوة" على الواقع.

أفكار خاطئة

هل يمارس القائلون بنظرية المؤامرة هذا التنوع احتجاجا على الصيغ الرسمية؟ ربّما، ولكن هذا النوع من الاحتجاج كان حكرًا على فئة محدودة من الراديكاليين، ثم انتشر مع انتشار الإنترنت عبر العالم، فقد عرفت أساطير التآمر المعاصرة كيف تطوّر الإمكانات التي تقدمها تكنولوجيات الاتصال الحديثة لتضاعف من انتشارها، مستغلة انخرام سوق المعلومات.

وزاد على ذلك أن زمن التخمر الذي تمنحه الإنترنت لتلك الميثولوجيات التآمرية محدود، ما يجعل عدد المواضيع التي تشملها نظريات المؤامرة يتكاثر وينمّي بصفة آلية كميّةَ المعتقدات التي تشغل الفضاء الاجتماعي.

لقد بيّنّا في مقالة سابقة أن العالم يعيش اليوم أزمةَ حقيقةٍ بسبب الإنترنت، فهو لم يضاعف من كميّة الأخبار الزائفة فقط، كتلك الفيديوهات التي تُظهر كذبًا وزورًا قادة من الغرب يستمعون للقرآن أو يدخلون في الإسلام أو يثنون على طبيب عربي اكتشف ترياقا لعلاج كورونا، بل أكسب حضورا لافتا للبدع التآمرية التي كانت فيما مضى تتنقّل خلسة كالبضائع المهرّبة، وخرجت اليوم للعلن تنافس المعطيات الرسمية، وتطعن في الحقائق العلمية، وتعرض نفسها مجّانًا على كل مبحر في الشبكة، حتى من لا يرغب في الاطّلاع عليها، لأن أصحابها يسعون جاهدين إلى كسب أنصار يؤيدونهم، إما احتجاجا على قرارات حكومية، أو رغبة في خلخلة بعض القناعات، أو سعيا إلى إحداث الفوضى شأن الأنارشيست الذين لا يعترفون بسلطة، أيّ سلطة مهما كان انتماؤها.

وهو ما يؤكده عالم الاجتماع جيرالد برونر، الذي لاحظ تفشي أفكار خاطئة هيمنت على الأذهان، وانتشرت في شتى الأوساط كحقيقة لا تقبل الجدل، لأنها ما عادت تجد من يتصدّى لها، أو أن من يتصدّى لها لا يملك نفس حضور المنتشرين في المواقع الاجتماعية يرجّعون أصداء بعضهم بعضا. رغم أن نظرية المؤامرة تقوم على ثنائية مانوية، وعلى ما يسمّيه المتخصصون "انحراف قدرة الإنسان على الفعل في العالم"، ما يجعل القائلين بها يستعيضون عن عجزهم عن تغيير العالم باختلاق إشاعات، وابتكار حجج تدعمها حتى يسهل إقناع هواة جدد.

والغريب أن تلك المزاعم لا تنطلي على العامة وحدهم، بل تنطلي أيضا على المتعلّمين، بل إن هذه الفئة هي أكثر الناس اقتناعا بنظريات المؤامرة، لأنها تستعمل العقل لتأكيد موقعها داخل المجموعة، وكلما كان الفرد ذكيًا، كان أقدرَ على إقامة الحُجّة لصالحه، أي أن العقلانية والمعرفة عند تلك الفئة تستعملان لتدعيم أفكار تسلّم بصحّتها، وتحرص على نشرها على أوسع نطاق.

نظريات المؤامرة تخلقها عقول عاجزة (لوحة للفنان محمد قنيبو)

فنان أفريقي يحتفي في الإمارات بالمغنية الأسطورة ماكيبا

الشارقة – أعلنت مؤسسة الشارقة للفنون، في بيان لها، إطلاق أول إصداراتها التسجيلية على أسطوانات الفينيل، بعنوان "منزل ماكيبا" للفنان نيو موينغا، الذي قدمه للمرة الأولى في بينالي الشارقة 14 سنة 2019، احتفاءً بذكرى المغنية الجنوب أفريقية الراحلة ميريام ماكيبا.

ورغم الكتابات الكثيرة التي تناولت ماكيبا بوصفها مغنية جاز ومثقفة طليعية، إلا أن دورها تقلص في التاريخ الحديث ليتحول إلى مجرد سطر مكتوب على الهامش، ولم يأت التاريخ الحديث على ذكرها بعد عجزها عن العودة إلى ديارها بسبب إجهارها بآرائها المناهضة لنظام الفصل العنصري. عاشت ماكيبا لفترة في "أفريقيا المسلمة".

وحسب موينغا، تكمن قيمة ماكيبا اليوم في أنها توجّهنا إلى مستقبل عالمي حافل بالاحتمالات التي تفترض أن الوطن مكان ثابت ومتجانس وآمن.

لا يعدّ العمل الصوتي "منزل ماكيبا" تكريماً لميريام ماكيبا فقط، بل وأيضاً لماكيدا أو من تعرف باسم بلقيس، ملكة سبأ، حيث تتداخل في المشروع أصوات الشخصيتين، ويتساءل موينغا عن احتمال ما يعنيه لو أنهما لم تولدا بفارق أكثر من 2000 عام، بل كانتا معاصرتين تعرفان بعضهما البعض وتتحدثان أيضاً معاً.

في ضوء الوباء العالمي المستمر، كتب موينغا بعض الأفكار عن العمل وأصوله، متناولاً السياق الحافل بالمعاني الذي يمكن أن يقدمه لمن يراوده شعور الاحتياج إلى الحرية والأمان والأمن، وذلك عبر سيرة ثلاث نساء ملهمات تخطين اليأس في الأوقات الحالكة.

يقول المؤلف الموسيقي "تخطى المنفى، المعنى الماثل بكونه فترة محدّدة مرتبطة بعمر ثوري واحد، بل صار أسلوب حياة يوميا، مجسداً إحدى السمات المميزة للواقع المعاصر في القرن الحادي والعشرين. يعيش العديد من الناس في جميع أنحاء العالم بشكل دائم كمواطنين نازحين مهملين، وهذا يجعلهم أعضاء في ما أطلق عليه علماء الاجتماع بريكاريا، وهي فئة الذين يعيشون في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية غير مستقرة أو آمنة. ونتيجة لذلك، أصبحت العديد من الأمراض الاجتماعية والعلل الجسدية أيضاً جزءاً من الوضع الراهن، حتى في أجزاء كثيرة من العالم التي لا تعدّ، من الناحية الفنية، في حالة حرب".

> «منزل ماكيبا» عمل صوتي يكرم المغنية ماكيبا وبلقيس ملكة سبأ والثائرة الأفريقية ماكسكي من خلال استعادة أصواتهن

وأضاف الفنان "منزل ماكيبا، هو تسجيل التأمل الصوتي لمفهوم المنفى، وما يصاحب ذلك من عرض خيالي لرعب مفاده أن تهديد اليأس العميق قد ينتصر قريبا، وتم تسجيل العمل بشكل حي مع مجموعة من المغنين والآلات الإلكترونية الموجودة في كيب تاون، بجنوب أفريقيا، وهي محاولة للنظر من جديد في الإرث الذي وهبته لنا شخصيات بارزة مثل ماكيدا الملكة الأسطورية في سبأ، وماكسكي الناشطة والقيادية الثورية الأفريقية، وماكيبا، الأم الفذة للأغنية الأفريقية، وتقدم لنا حياة النساء الثلاث دليلاً على كيفية خلق الأمل في أوقات اليأس".

ونيو موينغا مؤلف موسيقي وعازف، وكاتب أغان خاصة بالمسرح والأوبرا.

تجول موينغا في بقاع كثيرة من العالم مقدّماً عروضاً فردية أو بالاشتراك مع فرق موسيقية. ألف مسرحيات موسيقية، وأغاني كورالية، وعدداً من الأعمال الأوبرالية لموسيقى الحجرة والفرق الأوركسترالية.

شارك سنة 2008 في تأسيس المنصة الموسيقية الحية والبوابة الإلكترونية التقنية الأفريقية "سبيس ستيشن" بالتعاون مع الناشر والمحرر نتون إجابي، وتعاون في 1996 مع الثنائي الغنائي بلك سونشاين وماساوكو تشيبيمبير.

له العديد من الألبومات نذكر من بينها "القراءة المستعملة" 2016، و"تورو سي سيكيتي" 2015، و"ديبالو" 2011، و"حياة طيبة" 2009، و"النار، المجاعة، الطاعون والزلازل" 2007، و"غرفة الاستماع" 2003 و"بلك سونشاين" 1999. نُشر له: الأوبرا "قلب الاحمرار" 2015، وأوبرا موسيقى الحجرة "زهرة شمبي" 2012، والمسرحية الموسيقية "ذاكرة الشعور" 2010.

ميريام ماكيبا فنانة لا تنسى

«الثقافة للجميع» في أبوظبي

أبوظبي – تطلق دائرة الثقافة والسياحة أبوظبي مبادرة "الثقافة للجميع"، والتي تقدّم جميع مواقعها وبرامجها الثقافية للجمهور عبر محطات التواصل الاجتماعي لـ"ثقافة أبوظبي".

وتقدم المبادرة محتوى ديناميكياً من منارة السعديات، وقصر الحصن، وبيركلي أبوظبي، والمجمع الثقافي، وفن أبوظبي، ومبادرات التراث المادي والمعنوي وغيرها من البرامج الثقافية التي تنظمها دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي.

وتسعى مبادرة "الثقافة للجميع" لإيصال الجماهير إلى الأصول الثقافية في أبوظبي بتحويلها إلى منصات رقمية تتيح التعلم والاكتشاف والاستمتاع بالثقافة عن بعد.

وتعمل هذه المواقع، إلى جانب فرق من الخبراء والمهنيين المتخصصين، على إنشاء محتوى ثقافي يتضمن مجموعة من المواضيع المتخصصة، بما فيها الحرف التقليدية والفن المعاصر والمواقع التاريخية والموسيقى وفنون الأداء.

وقال رئيس الدائرة، محمد خليفة المبارك "أطلقنا 'الثقافة للجميع' وسيلة لمجتمع أبوظبي ودولة الإمارات العربية المتحدة والعالم بأسره لمواصلة التعلم وتوسيع آفاقهم حينما لا يكون متاحاً التواجد والتفاعل وزيارة المواقع جسدياً. إن الثقافة لبنة أساسية في المجتمع، ولا يشكل التفاعل الثقافي الحيّ مصدراً فذاً لتحفيز الإبداع فحسب، بل يعزز أيضاً هويتنا الجماعية لتصبح داعماً نستند عليه. ونأمل أن تسهم 'الثقافة للجميع' في تقوية إحساسنا بالوحدة وإبقاء قلوبنا وعقولنا منفتحة للإلهام أين ما كنا في العالم".

وينقسم المحتوى المقدّم في "الثقافة للجميع" تحت ثلاثة مواضيع؛ بداية بوسم "ابتكر الثقافة للجميع"، الذي يتيح الاطلاع على إرشادات وعروض توضيحية وبرامج تعليمية وتعليمات عبر الإنترنت والمشاركة من خلال إنشاء محتوى خاص بالمستخدم، بينما يوفّر وسم "اكتشف الثقافة للجميع" للجمهور فرصة اكتشاف الأصول الثقافية وزيارتها افتراضياً عبر شبكة الإنترنت من خلال لقطات الفيديو والتسجيلات والمواد الرقمية المنشورة الخاصة ببرامج وفعاليات دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي، بما فيها الحفلات الموسيقية والجلسات الحوارية والمعارض الفنية والمهرجانات والمؤتمرات.

دائرة الثقافة والسياحة
DEPARTMENT OF CULTURE AND TOURISM

> مبادرة «الثقافة للجميع» تتيح لمن هم في الإمارات وخارجها الاطلاع على محتوى ثقافي متنوع عبر الإنترنت

ويقدّم الوسم الثالث حول موضوع "ملتقى الثقافة للجميع" إمكانية التعرّف على الأفكار والمعارف المتنوعة لخبراء دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي القادمين من مختلف أنحاء العالم، حيث يمكن للجمهور حضور جلسات رقمية مع فنانين ومؤرخين وعارضين ومهندسين معماريين وغيرها الكثير.